الأحد الثالث بعد العنصرة

الشهيدة أكيلينا

١٣ – ٦ – ٢٠١٠

الإنجيل مت ٦: ٢٢-٣٣

الرسالة رو ٥ : ١-١٠

المجد للآب والإبن والروح القدس، الآن وكلَّ آنٍ وإلى دهر الداهرين، آمين.

إذا كانت الزنابقُ التي في الحقل توجَدُ اليوم، وفي غدٍ تُرمَى في التنُّور، يهتمُّ بها اللّهُ ويعتني إلى أبعدِ الحدود. فلا أحدَ يزرعُها، ولا أحدَ يعتني بها أو يسقيها، ولكنَّها تُوجَدُ وبوَفرةٍ في الأرض. هذا يعني أنَّ اللّهَ أوجَدَ كلَّ شيء، ولم يتركه، كما يقولُ بعضُ الناس أنَّها صدفة. إنَّنا نُلاحِظُ أنَّ اللّهَ يعتني بأدقِّ وأصغرِ الخليقة، فلماذا نحن نتشوَّش؟ لأنَّ اللّهَ قد جَعَلَ فينا عقلاً. والعقل، من كينونته، أنَّه يعملُ ويبتكرُ الأفكارَ ويتأثَّر. ولهذا، قد يأتي وقتٌ، فيه يشكُّ أنَّه موجودٌ ضمن عنايةِ اللّه. ويحاولُ الإنسانُ أن يهتمَّ كثيرًا من أجلِ تأمينِ معيشته. واللّهُ دائمًا يقولُ له: إن كنتُ أعتني بالطيور التي لا توجَدُ بعد قليل وبكلِّ النباتات والخليقة، فلماذا تخافُ أنِّي أُهمِلُكَ؟

وللأسف، الناسُ اليومَ باتوا يُخرِّبون عملَ اللّه في الطبيعة، وكأنَّ اللّهَ يُهمِلُ الطبيعة. هو لا يُهملُ الطبيعة، لكنَّه، لكثرةِ محبَّته، يتركُ الإنسانَ يتصرَّفُ، وفي النتيجة سيحاكِمُه. فإن كنتَ أنت تستغلُّ هذه العناية الإلهيَّة وتشاركُ فيها، فإنَّ اللّهَ سيكافِئُكَ لأنَّك صرتَ له معاوِنًا. وإن كنتَ تُخرِّبُ عملَ اللّهِ في الطبيعة وفي الإنسان، فإنَّكَ ستُقاصَصُ لا شكّ، لأنَّك جعلتَ نفسَك منفصلاً عن اللّه، فيما أنت تُخرِّب.

لم يتطرَّق النصُّ كثيرًا إلى باقي الحواس، لأنَّه أرادَ أن يُعبِّرَ لنا: أن عيشوا ببساطةٍ. ومتى كانت لكم هذه البساطة، عند ذاك تعرفون كيف تقاومون الشرَّ في كلِّ مجالاته. "لا تهتمُّوا ماذا تلبسون، ماذا تأكلون وماذا تشربون". ردَّدَها مرَّتين، لأنَّه يُريدُ أن يقولَ

لنا: عيشوا ببساطةٍ، لا تتكلَّفوا ماذا نُرتِّب نحن لحياتنا، كيف نجمعُ وكيف نأكلُ ونهتمّ. إنَّك تجمعُ لنفسك غمًّا، وتجعلُ هذا الإضطرابَ يأكُلُك، فلا تستطيع فيما بعد أن تأكلَ ما جَمَعت. هذا الإضطرابُ هو علامةُ عدمِ الثقةِ باللّه.

واللّهُ يُعطينا من الطبيعة مثالاً أنَّه يعتني بنا. ولكن، بعد ذلك عليك أن تتأمَّلَ من هذه البساطة، أن تكون عيناك أيضًا بسيطتين، حتَّى لا تصلَ إلى الطمع، إلى الشهوة. فعندما تكون عيناك جريئتين، تنظران كيفما اتَّفق، وتُفتِّشُ في جمالاتِ الكون لتُحوِّلَها بأفكارِكَ إلى شهوةٍ تُلذِّذُك، عندذاك تسقطُ في الخطيئة. ألم يَقُل: من ينظرُ إلى امرأةٍ ليشتهيَها، فقد زنى؟ إذًا عليك أن تكون هاتين العينين، اللَّتين جعلهما اللّهُ في وجهِك، لكي تُبصر، ولكي بالتالي تعرفَ في أعماقِ فكرِك عظمَتَه وقدرَتَه. أنت تحوِّلهما أداتَين لكي تلتقطَ شهوةَ الجسد في هذه الحياة. عندذاك أنت تُشوِّهُ الطبيعة، أنت تُشوِّهُ الإنسان، أنت تُشوِّهُ صورةَ اللّه التي خلقَها بِكرًا طاهرةً نقيَّة. فحاول إذًا أن تُخمِدَ نظرَكَ عن هذه المشتهيات، لئلاَّ تكونَ حياتُك متكلِّفة.

هذا موقفُ الفاعل. أمَّا موقفُ المتفاعِل، فينبغي أن يكونَ كذلك: نحن لا يمنعنا شيءٌ، وليس عندنا قانونٌ يمنعُ أن نلبسَ أو نخلعَ اللِّباس. ولكنَّ شريعَتَنا هي: ما هو منفعةُ الآخر؟ فالفتاةُ التي تتزيَّنُ بقلَّةِ الثياب أو بضِيقِها، حتَّى تُبرزَ مفاتنَها ومواضعَ جسدها بتفصيلٍ، هذه تُشوِّهُ الطبيعة، لأنَّها تجعلُ منها أداةً للشهوة واللَّذة. أنت تضبطُ عينَيك، والآخرُ ينضبطُ في سلوكِه أيضًا. هكذا يتصرَّفُ الإنسانُ المسيحيّ. لا يحتاجُ لشريعةٍ حتَّى ينضبط، لأنَّ حبَّ المسيح يتأكَّلُه، ويجعلُه قادرًا أن ينضبطَ في تصرُّفاتِه، غيرَ متجاوبٍ مع شهواتِ العصر. اليوم، بسبب التكلُّف والسرعة والضغوطات العمليَّة الموجودة، لا تجدُ المرأةُ ثيابًا جاهزةً تليقُ بها كإنسانةٍ مسيحيَّة، ولكنَّها تجدُ ما هو خليعٌ في السوق. فالأجدرُ بها أن تَخيطَ هي ثيابَها، عِوَضَ أن تأتيَ بها من السوق خليعةً، لا تحملُ مربَاها ولا تحملُ أخلاقَها ولا صفَتَها المؤمنة.

ونلاحظُ أنَّ الإنجيلي متى يُنهي نصَّه بهذه الآيةِ الجميلة: "أطلبوا ملكوتَ اللّهِ أوَّلاً وبرَّه، أي قداسته، وكلُّ ذلك يُزادُ لكم". لماذا الطمع؟ لا تُفتِّشوا عن أن تجدوا عريسًا

بسبب تَزيُّنِكم. فتِّشوا عن ملكوتِ اللّه، واللّهُ يُزيِّنُكُم ويُعطيكم ما هو نافعٌ لحياتكم. لا تُفتِّشوا عن مدخولٍ كبير، فقط لأجلِ الربح الماديِّ، ولكن فتِّشوا كيف تُرضوا اللّهَ دون "زعبرةٍ"، واللّهُ قادرٌ أن يرزقَكم ويُعطيَكم ما هو نافعٌ لحياتِكُم. لا تُفتِّشوا عن تتميمِ رغباتِكم ورغباتِ الآخرين في أن تُشتَهَروا كأشخاصٍ محبوبين عند الكلِّ ومرغوبين. لا، فتِّشوا أن يكونَ راغبًا فيكم المسيح.

القدِّيسةُ أكيلينا، التي نُعيِّدُ لها اليوم، كانت فتاةً صغيرةً في مدينة جبيل في زمنٍ سادت فيه الوثنيَّة، أي في بدايةِ حياةِ المسيحيَّة وانتشارها في فينيقيَّة الساحليَّة. هذه حَمَلَت اسمَ المسيح إلى الكلِّ، وبشَّرَت به. ولم تكن كفتاةٍ صغيرةٍ مختلَّةَ العقلِ كسائرِ أترابها، اللّواتي كنَّ يُردن أن يُبرزن أنفسهنَّ وأجسادهنَّ على أنَّهنَّ رغبةٌ جميلةٌ ولذيذة. بل كانت تحملُ المسيحَ في هذا الجسمِ الوضيعِ والبسيط. في هذا السلوكِ المحبّ، كانت تخدمُ وتكشفُ الحقيقةَ للكلّ. ولذلك اقتبلت أن تموت، وهي في سنِّ الثانيةَ عشرة من أجل المسيح. وكانت تُخزي الأقوياءَ والكبار، الذين لم يكونوا يستطيعون أن يجاروها أو أن يُباروها ويبارزوها في فكرها وتعقُّلِها.

ماذا نجدُ اليوم؟ نجدُ أنَّ المجتمعَ المسيحيَّ باتَ سخيفًا لأنَّه يُفتِّشُ عن القُمار، عن اليانصيب، عن الشهوات. مَن عنده سيَّارة عظيمة لكي "يُفنِّص" ويتكبَّر على الآخرين؟ مَن عنده جمالٌ أكثر من الآخرين، حتَّى يُبرزَ نفسَه ويُلفِتَ إليه؟ ولا أحدَ يُلفتُ إلى المسيح. منشغلون في أمورٍ كثيرة، لأنَّ النورَ فينا قد صارَ ظلامًا. بِتنا بِلا رأس. وإذا سمعنا كلامًا يُوبِّخُنا، ننزعجُ وننصرِفُ مبتعدين، لأنَّنا لا نريدُ أن نتعرَّفَ إلى الحقيقة، لا نُفتِّشُ عن القداسة، كما عَلَّمَ السيِّد: "أطلبوا ملكوتَ اللّهِ وقداسَته، وبعد ذلك يُزادُ لكم كلُّ شيء". فإنَّ اللّهَ قد أوجَدَ كلَّ ما هو موجودٌ في الطبيعة، لكي يكون تحت تصرُّفِنا. لم يمنع عنَّا شيئًا، ولكن علينا أن نكونَ أنقياء، أصفياء، نحبُّه أكثرَ من كلِّ الأشياء، واللّهُ يَزيدُ في برِّنا وقداستنا.

هذه الشهيدةُ العظيمة، يَجبُ لها التكريم والتقدير. لأنَّها، رغم صِغَرِ سنِّها، أدرَكَت ما هو الأفضلُ وما هو الأعظم، وماتت لكي تجتذبَ المسيحَ إلى قلبِها، وأن تكون منشدَّةً

إليه ومعها كلُّ جماهيرِ مدينتِها. واقتبَلَت، ليس فقط أن تُجاهدَ جهادًا كلاميًّا وتعبًا جسديًّا، بل قَبِلَت أن تكونَ شهيدةً، فمَاتَت من أجلِ المسيح. لذلك يُكرِّمُها الربّ، ويُعطينا نحن أن نُكرِّمَها لكي نتقرَّبَ بها إلى المسيح، ونكون كما يجبُ سالكين في حبٍّ وفي صفاءٍ، نطلبُ قداسَتَه وبرَّه في حياتنا. وبعد ذلك، لا نسألُ ماذا يصيبنا، ماذا نأكل، ماذا نشرب وماذا نلبس؟ اللّهُ يعتني بنا ويُقدِّسنا، ويجعلنا قادرين أن نحملَ اسمَه القدُّوس.

نضرعُ وإيَّاكم إلى الربِّ القدُّوس أن يستمعَ صلاتَنا، ويؤهِّلَنا أن نكونَ شهودًا له، كما كانت هذه القدِّيسة شاهدةً في حياتها ومماتها لمحبَّتِهِ وعنايَتِه، آمين.

الأرشمندريت المتوحِّد بندلايمون

رئيس الدير